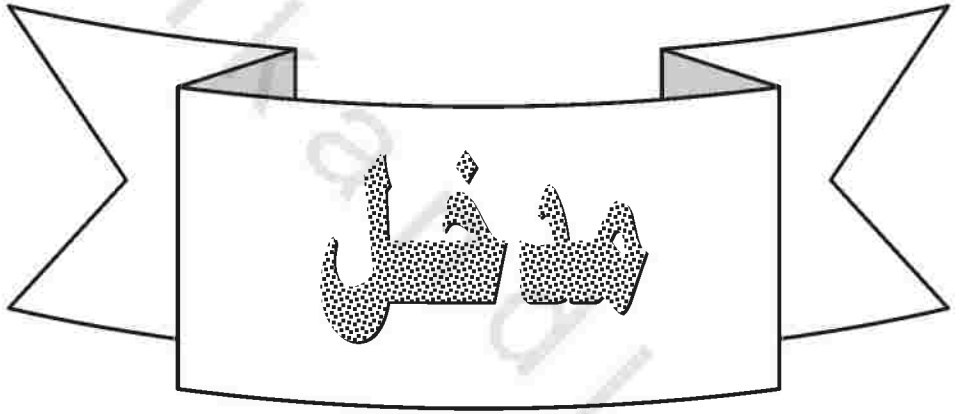




obeikandi.com

مدخل المطلب الأول اتجاهات التفسير

للدخول إلى الكلام على التفسير الموضوعي ينبغي أن نعطي لمحة سريعة عن اتجاهات التفسير بغير كبير خوض في ذلك، إذ هو مستوف في مظانه، معلوم لمن عالج شيئاً من علم التفسير، بل ذلك لزوم البحث. لقد مر علم التفسير بمراحل عدة حتى اتضحت مدارسه، وتمايزت مناهجه، وظهر أعلامه.

وأولى تلك المراحل كانت مرحلة التفسير في عهد النبي ﷺ وأصحابه الكرام؛ فكان رسول الله ﷺ مصدر التفسير للصحابة الكرام. فلما انتقل ﷺ إلى مولاه، كان مصدر الصحابة في التفسير: القرآن الكريم، ثم سنة النبي ﷺ، وثالثاً: الاستنباط المبني على معرفة اللغة ومشاهدة حال الرسول ﷺ ومعرفة أسباب نزول الآيات وملابساتها، علاوةً على قوة فهمهم وسلامة فطرتهم وسليقة لسانهم. وقد أضاف الدكتور/ محمد حسين الذهبي^(١) مصدراً رابعاً هو أهل الكتاب من اليهود والنصارى. وإن كنت قد استغربت إضافته لهذا المصدر؛ لوصول نهى النبي ﷺ للصحابة ألا يصدقوا أهل الكتاب ولا يكذبونهم فيما سكت عنه القرآن، ولأن عدم نقل المفسر عن أهل الكتاب وخلو التفسير من الإسرائيليات يعتبر مدحاً له. فكيف يتخذ الصحابة الكرام ذلك مصدراً لتفسيرهم؟! وقد أورد «الذهبي» نفسه أن العلماء كانوا يتقون تفسير الإمام المفسر «مجاهد بن جبر»

(١) محمد حسين الذهبي «التفسير والمفسرون»، الطبعة السادسة، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، مكتبة وهبة القاهرة، (١/ ٤٢).

لسؤاله أهل الكتاب.^(١)

ولقد تكلم كثيرٌ من الصحابة في تفسير القرآن الكريم، منهم الخلفاء الأربعة وغيرهم.^(٢) وأشهر من أثر عنه ذلك فهم: عبد الله بن عباس^(٣)، وعبد الله بن مسعود^(٤)، وعلى بن أبي طالب^(٥)، وأبي بن كعب^(٦).

وتميزت هذه المرحلة بعدم تفسير القرآن كله، وبقلة الاختلاف في فهم المعاني، مع الاختصار على توضيح المعاني اللغوية، وكذلك بعدم التدوين. وأما ثاني مراحل التفسير، فكانت في عصر التابعين الذين تتلمذوا على

(1) محمد حسين الذهبي «التفسير والمفسرون»، (١/ ١١٤).

(2) انظر عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي «الإتقان في علوم القرآن»، الهيئة المصرية العامة للكتاب، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ١٩٧٤ م، مجلد ٢، (٤/ ٢٣٣).

(3) هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب رباني أمة محمد ﷺ وأعلمها بكتاب الله تعالى وأفقهها بتأويله. ولد قبل البعثة بثلاث سنوات عمّر إحدى وسبعين عاماً، وتوفي عام ٥٥ هـ، انظر ابن الجوزي «صفة الصفوة»، (١/ ٣١٤-٣١٩).

(4) عبد الله بن مسعود بن غافل، أسلم قديماً، هاجر الهجرتين، وشهد بدرًا، والمشاهد بعدها، لازم النبي ﷺ، قال فيه الرسول ﷺ: «من سره أن يقرأ القرآن غصاً كما نزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد»، توفي ٣٢ هـ، انظر ابن الأثير «أسد الغابة»، (٣/ ٣٨٤)، وانظر ابن كثير «البداية والنهاية»، (٧/ ١٦٢-١٦٣).

(5) علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن عم رسول الله ﷺ، أول الناس إسلاماً، زوّجه النبي من ابنته فاطمة عليها السلام، شهد المشاهد كلها مع الرسول ﷺ، وقال له أنت مني بمنزلة هارون من موسى، توفي ٤٠ هـ، انظر ابن الأثير «أسد الغابة»، (٤/ ٩١) وما بعدها.

(6) أبي بن كعب بن قيس الأنصاري، سيد القراء من أصحاب العقبة الثانية، شهد بدرًا، والمشاهد كلها، أخرج الأئمة أحاديثه في صحاحهم، أول من كتب للنبي ﷺ، توفي ٣٠ هـ، انظر ابن الأثير «أسد الغابة»، (١/ ٤٩-٥٠).

أيدى الصحابة ونقلوا عنهم. وقد اعتمد هؤلاء على فهمهم لكتاب الله، وعلى ما رواه الصحابة عن رسول الله ﷺ، وكذلك على تفسير الصحابة، ثم اجتهادهم.

وقد نشأت في هذه الفترة مدارس مختلفة للتفسير:

أولاهها: مدرسة التفسير بمكة. والتي قامت على عبد الله بن عباس رضي الله عنه. وكان أشهر رجالها: سعيد بن جبير^(١)، ومجاهد بن جبر^(٢)، وعكرمة مولى ابن عباس^(٣)، وطاووس بن كيسان اليماني^(٤)، وعطاء بن أبي رباح^(٥).
وثانيها: مدرسة التفسير بالمدينة. وكان أشهر رجالها: أبا العالية رفيع بن

(١) سعيد بن جبير حبشي الأصل، كان - رحمه الله - من كبار التابعين، ومقدمهم في التفسير والحديث والفقه والقراءات. قتل في شعبان ٩٥هـ، وهو ابن تسع وأربعين سنة، قتله الحجاج، وله مناظرة معه قبل موته. انظر ابن كثير «البداية والنهاية»، (٩٨-٩٦/٩)، وانظر ابن حجر «تهذيب التهذيب»، (١٤-١٣/٤).

(٢) مجاهد بن جبر المكي المقرئ المفسر أحد الأعلام الإثبات ولد ٢١هـ في خلافة عمر رضي الله عنه توفي ساجداً في مكة ١٠٤هـ، اعتمد البخاري تفسيره، انظر النووي «تهذيب الأسماء واللغات»، (٨٣/٢).

(٣) عكرمة أبو عبد الله مولى ابن عباس أصله مغربي من البربر، روى كذلك عن أبي هريرة و علي بن أبي طالب وغيرهم، وقد وثقه الأئمة الثقات كالبخاري ومسلم والإمام أحمد، وشهدوا له بالثقة والقرآن، ت ١٠٤هـ، انظر ابن حجر «تهذيب التهذيب»، (٢٦٣-٢٧٣/٧)، وانظر النووي «تهذيب الأسماء واللغات»، (٣٤١، ٣٤٠/١).

(٤) طاووس بن كيسان: الحميري الجندي مولى، روى عن العبادلة الأربعة، كان عالماً متقناً خبيراً بمعاني كتاب الله تعالى ورعاً أميناً توفي بمكة ١٠٦هـ، انظر ابن حجر «تهذيب التهذيب»، (١٠-٨/٥)، وانظر ابن كثير «البداية والنهاية»، (٣٤٤-٢٣٥/٩).

(٥) المكي القرشي مولاهم ولد سنة (٢٧هـ) توفي (١١٤هـ) روى عن ابن عباس، وابن عمر، وابن عمرو بن العاص، كان ثقة فقيهاً عالماً كثير الحديث وانتهت إليه فتوى أهل مكة، انظر ابن حجر «تهذيب التهذيب» (٢٠٣-١٩٩/٧)، وانظر ابن كثير «البداية والنهاية» (٣٠٩-٣٠٦/٩).

مهران^(١)، ومحمد بن كعب القرظي^(٢)، وزيد بن أسلم^(٣).

وثالثها: مدرسة التفسير بالعراق. وقد قامت هذه المدرسة على عبد الله بن مسعود رضي الله عنه. وكان أشهر رجالها: علقمة بن قيس^(٤)، والحسن البصري^(٥)، وقتادة بن دعامة السدوسي^(٦).

وقيمة تفسير التابعين أن ما اتفقوا عليه فهو حجة، وأما ما اختلفوا فيه فيرجع فيه إلى لغة القرآن أو السنة أو عموم لغة العرب أو أقوال الصحابة. وتميز تفسيرهم بكثرة الإسرائيليات واعتماده على الرواية والتلقي، وظهرت فيه نواة

(١) أدرك الجاهلية، وأسلم بعد وفاة النبي ﷺ لستين، روى عن علي، وابن مسعود، وابن عباس، وهو من ثقات التابعين المشهور مجمع على ثقته، توفي ٩٠هـ، انظر ابن حجر «تهذيب التهذيب»، (٣/ ٢٨٤-٢٨٥).

(٢) من حلفاء الأوس، روى عن علي وابن مسعود وابن عباس، اشتهر بالثقة والعدالة وكثرة الحديث وتأويل القرآن، ت ١١٨هـ، انظر ابن كثير «البداية والنهاية» (٩/ ٢٥٧-٢٥٩).

(٣) زيد بن أسلم مولى عمر بن الخطاب، من كبار التابعين، عرف بغزارة العلم، ثقة، ت ١٣٦هـ، انظر ابن حجر «تهذيب التهذيب» (٣/ ٣٩٥-٣٩٧).

(٤) ولد في حياة الرسول ﷺ، روى عن عمر وعثمان وعلي وابن مسعود، كان ثقة مأموناً، على جانب كبير من الورع والصلاح، وروى له أصحاب الكتب الستة، ت ٦١هـ، انظر ابن حجر «تهذيب التهذيب»، (١/ ٢٧٦-٢٧٨).

(٥) الحسن بن أبي الحسن البصري، ولد في خلافة عمر ونشأ بوادي القرى، كان فصيحاً ورعاً زاهداً عالماً فقيهاً مأموناً، ت ١١٠هـ. انظر ابن حجر «تهذيب التهذيب» (٢/ ٢٦٣-٢٦٤)، انظر ابن كثير «البداية والنهاية»، (٩/ ٢٢٦-٢٢٦٧).

(٦) عربي الأصل، روى عن أنس وأبي الطفيل، كان قوى الحافظة، واسع الإطلاع، متضلعا في اللغة، ومن هنا جاءت شهرته في التفسير، ت ١١٧هـ، انظر ابن خلكان «وفيات الأعيان»، (٢/ ١٩٧)، ابن حجر «تهذيب التهذيب»، (٨/ ٣٥١-٣٥٦).

الاختلافات المذهبية.

وأما مراحل التفسير بعد هاتين المرحلتين، فبدأت بمرحلة التدوين، حتى أصبح التفسير علماً قائماً بذاته، وكان ذلك على أيدي طائفة من العلماء، كابن ماجه^(١)، وابن جرير الطبري^(٢). ولقد نحا التفسير في تلك المرحلة اتجاهاتٍ مختلفة:

الأول: التفسير بالمأثور، مثل: «المحرر الوجيز» لابن عطية^(٣)، «جامع البيان في تفسير القرآن» لابن جرير، و«تفسير القرآن العظيم» لابن كثير^(٤)، و«الدر المنثور» للسيوطي^(٥).

(١) أبو عبد الله محمد بن يزيد بن عبد الله بن ماجه القزويني، أحد الأعلام، ألف سنته المشهورة إحدى الأمهات الست، توفي ٢٧٣ هـ، انظر ابن حجر «تهذيب التهذيب»، (٥٣٠/٩ - ٥٣٢).

(٢) هو محمد بن جرير بن يزيد الطبري (أبو جعفر) ولد عام ٢٢٤ هـ، ٨٣٩ م مفسر، مقرئ، محدث، مؤرخ، أصولي، مجتهد، استوطن بغداد وتوفي ليومين بقيا من شوال في بغداد عام ٣١٠ هـ، ٩٢٣ م، انظر الإمام الذهبي «سير أعلام النبلاء»، (٢٠٦-٢١١).

(٣) هو عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن المعروف بابن عطية المحاربي ولد عام ٤٨١ هـ، ١٠٨٨ م، عالم مشارك في الفقه والحديث والتفسير والنحو واللغة والأدب ورحل إلى المشرق وتوفي ٥٤١ هـ، وأشهر مؤلفاته «المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز». انظر السيوطي «بغية الوعاة»، (ص ٢٩٥).

(٤) هو إسماعيل بن عمر بن كثير ولد عام ٧٠٠ هـ، محدث، مؤرخ، مفسر، فقيه وتوفي بدمشق عام ٧٧٤ هـ، من تصانيفه «البداية والنهاية» انظر الشوكاني «البدر الطالع»، (١٥٣/١).

(٥) هو عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي، الشافعي عالم مشارك في أنواع من العلوم ولد عام ٨٤٩ هـ، وتوفي في جمادى الأولى عام ٩١١ هـ، من مؤلفاته الإتيقان في علوم القرآن، انظر السخاوي «الضوء اللامع»، (٦٥-٧٠).

الثاني: التفسير بالرأى. والمقصود بالرأى هنا: الاجتهاد بعد معرفة المفسر لكلام العرب. وقد اختلف العلماء من قديم في جواز التفسير بالرأى بين مجيز ومعارض.^(١) ومن أهم كتب التفسير بالرأى الصحيح: «مفاتيح الغيب» للرازي.^(٢)

وأما التفسير بالرأى المذموم كتفسير الفرق المبتدعة مثل المعتزلة والشيعة، حيث اعتمدت الأولى على الأصول الخمسة المعلومة، والتي لا تتفق مع مذهب أهل السنة والجماعة، وهى: التوحيد، والعدل، والوعد والوعيد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والمنزلة بين المنزلتين. ومن أهم كتب التفسير الاعتزالي: «الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل» للزمخشري^(٣)، أما أهم كتب التفسير عند الشيعة فهو «مجمع البيان في تفسير القرآن» للطبرسي^(٤).^(٥)

(١) انظر: ابن تيمية «مقدمة في أصول التفسير»، (ص ٢٨ - ٢٩). والسيوطي «الإتقان في علوم القرآن» (٢/ ١٧٩).

(٢) هو محمد بن عمر بن الحسين، كان إماماً في التفسير والكلام، والعلوم العقلية وعلوم اللغة ولد عام ٥٤٣هـ وله مؤلفات عديدة أشهرها «التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب»، وتوفي رحمه الله عام ٦٠٤هـ. انظر الإمام بن كثير «البداية والنهاية»، (١٣/ ٥٥).

(٣) هو محمد بن عمر بن محمد الخوارزمي الزمخشري، مفسر، محدث، متكلم، نحوي، لغوي، بياني، أديب ولد بزمخشري عام ٤٦٧هـ، ١٠٧٥م، من تصانيفه الكثيرة «الكشاف عن حقائق التنزيل»، وتوفي عام ٥٣٨هـ، انظر السيوطي «طبقات المفسرين»، (ص ٤١).

(٤) هو الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي الطوسي، مفسر، ومشارك في بعض العلوم، من آثاره «مجمع البيان في تفسير القرآن»، وتوفي عام ٥٤٨هـ، انظر كشف الظنون لحاجي خليفة.

(٥) انظر الذهبي «التفسير والمفسرون»، (١/ ٢٦٥) وما بعدها.

الثالث: تفسير الفقهاء. فكان من الإنتاج التفسيري للفقهاء: «أحكام القرآن» للجصاص^(١)، وهو يتكلم عن الآيات التي لها علاقة بالأحكام فقط، وكتاب: «الجامع لأحكام القرآن» لأبي عبد الله القرطبي^(٢)، من أجل التفسير، فقد احتوى على أحكام القرآن واستنباط الأدلة وذكر القراءات والناسخ والمنسوخ.

الرابع: تفسير الصوفية. وهو نوعان: تفسير صوفي إشاري، وتفسير صوفي نظري. ومن ذلك: «لطائف الإشارات» للقشيري^(٣).

الخامس: التفسير في العصر الحديث، الذي اهتم بعوامل مختلفة أهمها: التوسع العلمي والتأثر بالمذهب والعقيدة والإلحاد الذي قام على حرية الرأي، وكذلك اللون الاجتماعي من التفسير، ومن رواده: الشيخ محمد عبده، ومن تلاميذه السيد محمد رشيد رضا. وقد أخذ على هذه المدرسة أنها أعطت لعقلها حرية واسعة فتأولت بعض الحقائق الشرعية التي جاء بها القرآن وعدلت بها عن الحقيقة إلى المجاز أو التمثيل، وهم بذلك اقتدوا بالمعتزلة في بعض تعاليمها.

(١) هو أبو بكر، أحمد بن علي الرازي، المشهور بالجصاص، ولد ٣٠٥ هـ، كان إمام الحنفية في وقته، أخذ عن الزجاج وعن أبي الحسن الكرخي وتوفي ٣٧٠ هـ، انظر ابن كثير «البداية والنهاية»، (١١/٢٩٧).

(٢) هو الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي المفسر، كان من الصالحين والعلماء العارفين الزاهدين في الدنيا، توفي - رحمه الله - سنة ٦٧١ هـ، انظر السيوطي «طبقات المفسرين»، (ص ٢٨-٢٩).

(٣) هو الإمام أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة بن محمد بن النيسابوري القشيري الشافعي الصوفي الفقيه ولد ٣٧٦ هـ، من مؤلفاته «التفسير الكبير»، «الرسالة»، «لطائف الإشارات»، توفي ٤٦٥ هـ، انظر ابن كثير «البداية والنهاية»، (١٢/١٠٧)، انظر السيوطي «طبقات المفسرين»، (ص ٢١-٢٢).

المطلب الثاني التفسير الموضوعي

وهو عبارة عن جمع الآيات القرآنية التي تتحدث عن موضوع واحد مشتركة في الهدف، وترتيبها على حسب النزول كلما أمكن ذلك، ثم تناولها بالشرح والتفصيل، مع الإحاطة بجوانب الموضوع، مثل أن يقال: البر في القرآن الكريم، الإحسان إلى الوالدين في القرآن الكريم، وكذلك مثل التفسير الموضوعي لعدة مسائل قرآنية تتعلق مثلاً بالنظام السياسي للدولة، والنظام القضائي.

وفائدته تتبع مستقل لموضوعات القرآن موضوعاً موضوعاً، يستكمل فيه المفسر الفكرة ويستقصيها بحيث يستطيع فهم المعنى مكتماً وأغراضه، وإظهار السياقات المختلفة، بحيث يتمكن المطلع أو القارئ من الإلمام بكافة جوانب الموضوع بسهولة.

هذا الاتجاه له نماذج متفاوتة، ففي الحديث الفصول المختلفة التي أشار إليها د. أحمد الشرباصي مثل «الحرية في القرآن»، و«العزة في القرآن الكريم». وكذلك الدكتور/ محمد أحمد خلف فقد جمع الآيات المتعلقة بالقصص القرآني ورتبها تاريخياً، وحاول استخلاص الحقائق وتوضيح ما تشتمل عليه من آراء وأفكار. ومن نماذجه بحث الدكتور شكرى عياد «وصف القرآن ليوم الدين والحساب». أما في القديم فوجدنا «التيان في أقسام القرآن» لابن قيم الجوزية.^(١)

(١) انظر: د. عفت محمد الشرقاوى «اتجاهات التفسير في مصر في العصر الحديث»، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة عين شمس، ود. محمد أحمد يوسف القاسم «التفسير الموضوعي في القرآن الكريم»، ط ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، القاهرة. ود. محمد حسين

وتتميّحاً للكلام على التفسير الموضوعى ينبغى أن نشير إلى أن الدكتور/ عبد الحى الفرماوى فى كتابه «البداية فى التفسير الموضوعى.. دراسة منهجية موضوعية» قد قسم التفسير الموضوعى إلى نوعين:

الأول: الكلام على السورة ككل، مع بيان أغراضها العامة والخاصة وما فيها، مع بيان ربط الموضوعات بعضها ببعض، حتى تبدو السورة فى منتهى الدقة والإحكام.

الثانى: جمع الآيات القرآنية التى فى موضوع واحد ووضعها تحت عنوان واحد، وتفسيرها تفسيراً منهجياً موضوعياً.

وهذا النوع الثانى هو الذى يتبادر إلى الذهن عند إطلاق اسم التفسير الموضوعى ثم ذكر نشأته وعدم الاهتمام به قديماً^(١).

الذهبى «التفسير والمفسرون»، مكتبة وهبة، الطبعة السادسة، ط ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.
(١) د. عبد الحى الفرماوى «البداية فى التفسير الموضوعى.. دراسة منهجية موضوعية»، الطبعة الثانية، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.

وقد مثل كتاب الشيخ محمد الغزالى النوع الأول «نحو تفسير موضوعى لسور القرآن الكريم»، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.